https://farid.ps/articles/zionism_and_nazism/ar.html

الصهيونية والنازية: وجهان لعملة واحدة بالمعنى الحرفي

في سبتمبر 1934، أطلقت صحيفة الدعاية الخاصة بجوزيف غوبلز **Der Angriff (الهجوم)** ميزة خاصة: رحلة مكونة من 12 جزءًا كتبها ضابط الـ SS ليوبولد فون ميلدنشتاين يصف فيها زيارته لفلسطين مع المسؤول الصهيوني كورت توشلر. للترويج للسلسلة، أمر غوبلز بصنع ميدالية برونزية تذكارية في نورمبرغ: جانب منها يحمل نجمة داود مع النقش **"Ein Nazi fährt nach Palästina"** ("نازي يسافر إلى فلسطين")، والجانب الآخر يحمل الصليب المعقوف مع العبارة **"Und erzählt davon im Angriff"** ("ويروي عنها في **Der Angriff**").

هذه الميدالية التقطت واقعًا عابرًا ولكنه مذهل: المسؤولون النازيون والقادة الصهاينة كان لديهم اهتمام مشترك بالهجرة اليهودية إلى فلسطين. أراد النازيون ألمانيا **judenrein** (خالية من اليهود)؛ بينما أراد الصهاينة إعمار دولتهم المستقبلية. تعاونهم، العملي والانتهازي، ازدهر خلال الثلاثينيات.

السياق: القوميات الأوروبية واستبعاد اليهود

شهد القرن التاسع عشر صعود **القومية العرقية** - الاعتقاد بأن كل شعب (يُعرف بالعرقية، اللغة، و"الدم") يجب أن يعيش في دولته الخاصة. كان هذا هو الوقود الأيديولوجي لتوحيد إيطاليا وألمانيا والانتفاضات القومية عبر الإمبراطوريتين النمساوية-المجرية والعثمانية.

عانت الأقليات تحت هذا النظام الجديد:

- **الروما (الغجر)** طُردوا، ووُصفوا بالنمطية، واستهدفوا لاحقًا للإبادة تحت حكم النازيين.
- **البولنديون** سُحقوا بسبب الجرمنة في بروسيا والروسية في الإمبراطورية القيصرية.
- **التشيك، السلوفاك، الأوكرانيون، السلاف الجنوبيون** قُمعوا في النمسا-المجر.
- **الأرمن** تعرضوا للمجازر والإبادة الجماعية في الإمبراطورية العثمانية.
- **الباسك، الكتالان، البريتون، الكورسيكيون** قُمعوا في إسبانيا وفرنسا.
- **السورب، الدنماركيون، الفنلنديون، البالت** تم استيعابهم أو قُمعوا تحت الحكم البروسي أو الروسي.

استجابت معظم هذه المجموعات بالنضال من أجل الحقوق أو الاستقلال. الصهيونية، على النقيض، جادلت بأن الحل للاضطهاد اليهودي ليس المساواة داخل أوروبا بل استعمار فلسطين.

معاداة السامية كشرط مسبق للصهيونية

كانت معاداة السامية منتشرة قبل النازيين بوقت طويل:

- **ألمانيا:** صاغ فيلهلم مار كلمة "معاداة السامية" في السبعينيات.
- **فرنسا:** كشفت قضية دريفوس عن معاداة سامية عميقة.
- **روسيا:** أدت المذابح (1881–1905) إلى نفي مئات الآلاف.

- **النمسا:** بنى عمدة فيينا كارل لويغر مسيرته على معاداة السامية.
- **هنغاريا، رومانيا، بولندا:** افتراءات الدم، الحصص، المذابح.

فسر الصهاينة معاداة السامية كتأكيد على أن اليهود لا ينتمون إلى أوروبا. خلص كتاب هرتزل (1896) **Der Judenstaat** إلى أن معاداة السامية لن تختفي أبدًا، لذا يحتاج اليهود إلى دولة خاصة بهم.

التقارب الصهيوني-النازي

المذكرة عام 1933

في 21 يونيو 1933، أرسل الاتحاد الصهيوني في ألمانيا (ZVfD) مذكرة إلى أدولف هتلر. أعلنت:

> "على أساس الدولة الجديدة، التي أسست مبدأ العرق، نرغب في تهيئة مجتمعنا ضمن الهيكلية الكلية بحيث يمكننا أيضًا، في المجال المخصص لنا، القيام بنشاط مثمر من أجل الوطن... لأننا، أيضًا، ضد الزواج المختلط ونؤيد الحفاظ على نقاء المجموعة اليهودية."

اتفاقية الهعفرة (1933–1939)

في 25 أغسطس 1933، وقّعت ألمانيا النازية والوكالة اليهودية اتفاقية الهعفرة ("النقل").

- **الآلية:** كان اليهود الألمان يودعون أصولهم في البنوك الألمانية؛ تُستخدم الأموال لشراء بضائع ألمانية، تُصدر إلى فلسطين. يتلقى المهاجرون العائدات في فلسطين، بالعملة المحلية.
- **النتيجة:** هاجر حوالي 60,000 يهودي ألماني إلى فلسطين بموجب الهعفرة.
- **التأثير:** عززت الصادرات الألمانية والتطوير الصهيوني، بينما قوّضت المقاطعة اليهودية الدولية.

Der Angriff ورحلة ميلدنشتاين-توشلر

في ربيع 1933، اقترب **كورت توشلر**، مسؤول صهيوني، من ضابط الـ SS **ليوبولد فون ميلدنشتاين** للترويج للهجرة من خلال تغطية إعلامية نازية إيجابية. سافر ميلدنشتاين وزوجته مع توشلر وزوجته عبر فلسطين، وزاروا تل أبيب، الكيبوتسات، وادي الجزرة، صفد، الخليل، وأورشليم.

أنتجت الرحلة السلسلة **"Ein Nazi fährt nach Palästina"** ("نازي يسافر إلى فلسطين")، التي نُشرت في **Der Angriff** من **26 سبتمبر إلى 9 أكتوبر 1934**.

Ein Nazi fährt nach Palästina" (1934)"

نازي يسافر إلى فلسطين ويروي عنها في Der Angriff

تضمنت كل حلقة صورًا للمستوطنات والرواد الصهاينة. فيما يلي مقتطفات مختارة.

الجزء الأول - Aufbruch nach Erez Israel (26 سبتمبر 1934)

> "في محطة برلين، صعد الشباب اليهود إلى القطار. غنوا أغانٍ عبرية، وكانت أصواتهم مليئة بالتفاؤل. صرخوا بتحية الوداع: **شالوم!** ... كان ذلك نداء شعب ينطلق لبناء من جديد."

الجزء الثاني - Ankunft in Haifa (27 سبتمبر 1934)

> "في ميناء حيفا، تجمع الحمالون العرب، يصرخون ويمسكون بالأمتعة بأيدٍ جشعة. على النقيض، استقبلنا المسؤولون اليهود في مكتب الهجرة بنظام وانضباط، ووثائقهم جاهزة بدقة."

الجزء الثالث - Tel Aviv, die jüdische Stadt (28 سبتمبر 1934)

> "هنا يعيش اليهود فقط، هنا يعمل اليهود فقط، هنا يتاجر اليهود فقط، يستحمون ويرقصون. لغة المدينة هي العبرية - لغة قديمة، أُعيد إحياؤها - لكن المدينة نفسها حديثة وغربية، بشوارع عريضة ومتاجر جذابة. في كل مكان، ترتفع البناءات لمواجهة الزيادة السكانية."

> "غالبية اليهود في فلسطين متفائلون، يعملون بجد، ومثاليون ينوون بناء الأرض بعرقهم - عكس النمطية التي تُطبق عادةً على اليهود."

الجزء الرابع - Die Kibbuzim und das Land (29 سبتمبر 1934)

> "في الكيبوتس، تعمل كل يد: رجال، نساء، وأطفال على حد سواء. تُجفف الأرض المستنقعية، تُزرع البساتين، تُبنى الحظائر. هنا يولد نوع جديد من اليهود - متجذر في الأرض، قريب من التربة."

الجزء الخامس - Ben Shemen und die Jugend (30 سبتمبر 1934)

> "في مستعمرة الشباب في بن شمن، يتم تدريب الرواد الشباب ليس فقط في الدراسة بل في العمل. يحرثون الأرض، يعتنون بالماشية، ويمشون بانضباط. في أعينهم يلمع روح المستقبل."

الجزء السادس - Die Jesreel-Ebene (1 أكتوبر 1934)

> "في وادي الجزرة، قابلت بن غوريون، قائدًا بين المستوطنين. حولنا، تحولت المستنقعات والبراري إلى أراضٍ زراعية خصبة. يعيش المستوطنون هنا بشكل جماعي، يتقاسمون كل شيء، مقتنعين بأنهم يصيغون أمة جديدة."

الجزء السابع - Arabische Düfte (2 أكتوبر 1934)

> "بعض النساء العجائز يجلسن مقابلي. اللواتي في سن متقدمة لم يعدن محجبات، وإن كنت تتمنى لو كن كذلك... وهؤلاء الأطفال القذرين. الحافلة تهتز بائسة. فتاة صغيرة تصاب بدوار الحركة. كانت الروائح العربية تحيط بنا بالفعل، لكن الآن أصبح الأمر لا يطاق. نحن أيضًا نُخرج رؤوسنا من النافذة."

الجزء الثامن - Safad und der Norden (3 أكتوبر 1934)

> "في صفد، الجو متوتر. يتظاهر العرب ضد البريطانيين، يلوحون بقبضاتهم ويصرخون. اليهود، في حيهم الصغير، يبقون خلف أبواب محروسة. هنا يظهر بوضوح: العربي يقاوم التقدم."

الجزء التاسع - Hebron und die Vergangenheit (4 أكتوبر 1934)

> "مررنا بالحي اليهودي المحترق في الخليل. وقفت الأنقاض كتذكير بالأيام الدامية عام 1929، عندما هاجم الغوغاء العرب جيرانهم. حجارة سوداء بالنار، بيوت فارغة، صمت حيث كانت الحياة اليهودية مزدهرة ذات يوم."

الجزء العاشر - Jerusalem und die heiligen Stätten (5 أكتوبر 1934)

> "عند حائط المبكى، تمتم اليهود بصلواتهم. مر العرب وسخروا، صارخين ومهللين، مزعجين عبادتهم. في المساء، حضرت تجمعًا لكتاب يهود في أورشليم - صالون حي بالمحادثة، حيث التقى التقليد القديم بالتجديد الشبابي."

الجزء الحادي عشر - Die Zukunft des Landes (6 أكتوبر 1934)

> "فلسطين لديها القدرة على استقبال آلاف آخرين. التقدم المحقق بالفعل يظهر ما يمكن تحقيقه عندما تتحد المثالية والعمل. لكن البريطانيين يترددون، خوفًا من الاضطرابات، والعرب يصبحون قلقين."

الجزء الثاني عشر - Eine Lösung der Judenfrage? (9 أكتوبر 1934)

> "في فلسطين، تجد المسألة اليهودية حلها. هنا يصبح اليهودي منتجًا، مبدعًا، مرتبطًا بالأرض. المشكلة التي تثقل كاهل أوروبا تجد شفاءها في تربة أرض إسرائيل."

من ميلدنشتاين إلى آيخمان

بحلول عام 1935، انضم أدولف آيخمان إلى قسم ميلدنشتاين. درس كتاب هرتزل **Der Judenstaat**، تعلم العبرية واليديشية، ووصف نفسه بأنه "صهيوني" - ليس من الإيمان، بل كوسيلة لتعزيز الهجرة كحل لـ"المشكلة اليهودية".

إيفيان، فشل الهجرة، والتطرف

في يوليو 1938، جمع مؤتمر إيفيان 32 دولة لمناقشة اللاجئين اليهود. رفضت معظم الدول زيادة حصص الهجرة؛ فقط جمهورية الدومينيكان عرضت أرضًا لـ100,000، لكن تم تسوية بضع مئات فقط.

تباهت الدعاية النازية: "يهود للبيع - لا أحد يريدهم." ركز المندوبون الصهاينة حصريًا على فلسطين، رافضين وجهات أخرى. ساهم فشل الهجرة في تحول النازيين من الطرد إلى الإبادة.

اتصال آيخمان-الهاغاناه

في عام 1937، التقى وكيل الهاغاناه فيفيل بولكس بآيخمان وهربرت هاغن. طلب بولكس أسلحة ومساعدة نازية ضد البريطانيين، معتبرًا بريطانيا عدوًا مشتركًا. سافر آيخمان وهاغن إلى فلسطين تحت هويات مزيفة، طُردا من قبل البريطانيين، والتقيا بولكس مرة أخرى في القاهرة. لم يتم التوصل إلى اتفاق، لكن الحادث يوضح البراغماتية - واليأس - لكلا الطرفين.

ظلال الماضي

قبل الإبادة الجماعية، شملت سياسة النازيين:

- **السلب المنهجي** (تأريخ ممتلكات اليهود).
- **فقدان الجنسية** (قوانين نورمبرغ).
- **النظم القانونية المزدوجة** (يهود مقابل آريين).
- **الاحتجاز التعسفي** (المخيمات المبكرة).

يلاحظ المراقبون أوجه تشابه هيكلية في إسرائيل/فلسطين اليوم: سلب الأراضي، رفض منح الجنسية، نظم قانونية منفصلة للمستوطنين والفلسطينيين، والاحتجاز الإداري.

الخلاصة: وجهان للقومية العرقية

الصهيونية والنازية، على الرغم من اختلاف نتائجهما، تشاركتا في إطار مشترك: كلاهما مشروعان قوميان عرقيان رفضا الاستيعاب، ومجدا الانفصال، وعرفا الهوية بيولوجيًا.

الميدالية في **Der Angriff** التي تحمل الصليب المعقوف ونجمة داود هي أكثر من مجرد فضول للجامعين - إنها تذكير بأن معاداة السامية الأوروبية لم تُحل في أوروبا بل صُدرت إلى فلسطين، حيث أصبح الفلسطينيون ضحايا "حل" صيغته أيديولوجيتان قوميتان عرقيتان.

المراجع

- **Der Angriff** (برلين)، الأعداد 226–237 (26 سبتمبر–9 أكتوبر 1934).
- مذكرة الاتحاد الصهيوني في ألمانيا إلى أدولف هتلر، 21 يونيو 1933.
- اتفاقية الهعفرة، 25 أغسطس 1933.
- سجلات مؤتمر إيفيان، يوليو 1938.
- شهادة آيخمان (محاكمة أورشليم، 1961).
- بواس، جاكوب. **نازي يسافر إلى فلسطين ويروي عنها في Der Angriff.** هيستوري توداي، 1980.
- برينر، ليني. **الصهيونية في عصر الديكتاتوريين.** لندن: كروم هيلم، 1983.
- بلاك، إدوين. **اتفاقية النقل: القصة الدرامية للمعاهدة بين الرايخ الثالث وفلسطين اليهودية.** نيويورك: ماكميلان، 1984.
- نيكوسيا، فرانسيس. **الرايخ الثالث ومسألة فلسطين.** أوستن: جامعة تكساس برس، 1985.
- سيغيف، توم. **المليون السابع: الإسرائيليون والمحرقة.** نيويورك: هيل آند وانغ، 1991.
- سيزاراني، ديفيد. **آيخمان: حياته وجرائمه.** لندن: هينمان، 2004.

- لاكوير، والتر. **تاريخ الصهيونية.** لندن: توريس، 2003 [الأصلي 1972].
- لونغريتش، بيتر. **الهولوكوست: اضطهاد النازيين وقتل اليهود.** أكسفورد: أو يو بي، 2010.